ملخّص برنامج عبد الحليم الغزّي وحديثٌ عن الجندر - الحلقة(10)
ماذا يقول القرآن للجندر ج٢
الاربعاء : ١٣/صفر/١٤٤٥هـ - الموافق ٣٠/٨/٢٠٢٣م

هذه الحلقةُ جُزءٌ ثانٍ، تحتَ العُنوانِ نفسه؛ "ماذا يقولُ القُرآنُ للجَندَر".
سأستَمرّ في جولتي معَ الآيات الكريمةِ في هذهِ الحلقةِ أيضاً:

سورة الروم؛

الآياتُ من السابعة بعدَ العاشرة بعدَ البسملة إلى الآيةِ الخامسة والعشرين بعدَ البسملة: ﴿**فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ** - هذا التسبيحُ اقترنَ إلى أمرٍ تكويني، فالإمساءُ والإصباحُ شؤونٌ تكوينيةٌ - **وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ** - الكلامُ هُوَ هُوَ هذه شؤونٌ تكوينيةٌ نحنُ نُعايشُها وهي تمرّ علينا وتتحكَّمُ قوانينُها بنا، "وحينَ تُظْهِرون"؛ الإشارةُ إلى وقتِ الظُّهر - **يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ**﴾، شؤونٌ تكوينيّةٌ ترتبطُ بنا ونرتبطُ بها وتجري قوانينُها علينا وليس لنا من خيارٍ في معاندة قوانينها هذهِ سُلطةُ قوانين التّكوين.
- **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ**﴾، بشرٌ كُلُّنا بشرٌ الرجالُ بشرٌ، النِّساءُ بشرٌ، ليسَ هُناكَ من تفريقٍ وليسَ هُناكَ من مميزاتٍ تجعلُ الرِّجالَ أعلى درجةً من النِّساء، أو تجعلُ النِّساءَ أعلى درجةً من الرِّجال، الميزانُ التَّقوى، الأكرمُ عندَ اللّهِ يُشخَّصُ وفقاً للتَّقوى..
فَكُلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلِقَ له، هذه قاعدةُ الخَلْقِ وقانونُ الخَلْق، سُننُ الطبيعةِ وسُنَنُ العالَمِ الَّذي نعيشُ فيهِ تكونُ مُنسّقةً بنحوٍ تجري علينا ونتعاملُ معها وكأنَّها ليست موجودةً، هُناكَ سهولةٌ في جريانِ هذهِ السُّنَن، هُناكَ يُسرٌ حتَّى لو كانت تلكَ السُّنَنُ عسيرةً إنَّها تجري من حيثُ لا نشعرُ بها ونحنُ محكومونَ تحتَ سطوةِ سُلطتها - **وَمِنْ آيَاتِهِ** - السورةُ تتحدَّثُ عن آياتٍ تكوينيّة - **أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً** - إنَّها منزلةٌ واحدة..
في سورةِ التوبة، الآيةِ الثامنةِ والعشرين بعدَ المئة: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾، هذا الرَّسُولُ جاءنا من أنفُسنا، قطعاً المقامُ هُنا لهُ خصائصُه، لكنَّ التّعابيرَ هي هي، مِن نَفسِ المنزلةِ الَّتي أنتُم فيها كي يتواصلَ معكم، إنَّها المنزلةُ البشريّة، هُناكَ الوجهُ البشريُّ لمُحمَّدٍ صلَّى اللَّهُ عليه وآله، وهُناكَ الوجهُ الرَّبوبيُّ الوجهُ الإلهيّ، هوَ تعاملَ معنا عبرَ الوجهِ البشريّ، والآيةُ تُشيرُ إلى هذا المعنى، قُلتُ هُناكَ حيثيّاتٌ ولولا الحيثيّاتُ لَبطُلَت الحكمةُ كما يقولُ الحُكماء.
﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً** - من المرتبةِ نفسها، من الطينةِ نفسها، لماذا؟ - **لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا**﴾، وهذا هُوَ جوهرُ البناءِ الأسري، الجَندرُ بعلمهِ بفلسفتهِ بقَوانينهِ بشرعتهِ الدُّوليّةِ بكُلِّ ما يرتبطُ بهِ خُلاصةُ ما يصلُ إليه أن يُدمِّرَ هذا المضمونَ الَّذي تتحدَّثُ عنهُ الآية..
في الطبيعةِ البشريَّةِ هذا المضمونُ موجودٌ، هُناكَ جزءٌ منهُ عندَ الرجُلِ وجزءٌ منهُ عندَ المرأة، إذا ما تواصلَ هذا الجزءُ من الرَّجُلِ مع هذا الجزءِ من المرأةِ حدثت السَّكينة.
في سورةِ التوبة، الآيةِ الثالثةِ بعدَ المئة: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ** - على الرِّجالِ والنِّساء - **إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾، هُناكَ سَكَنٌ مُحمَّديٌّ، سَكَنٌ نبويٌّ للرِّجالِ والنِّساءِ على حدٍّ سواء، هذهِ السَّكينةُ سَكينةٌ فرديَّةٌ يُصلِّي مُحمَّدٌ صلَّى اللَّهُ عليهِ وآله على المؤمنِ على المؤمنةِ فتكونُ السَّكينةُ نازلةً على المؤمنِ على المؤمنةِ على حدٍّ سواء..
أمَّا السَّكينةُ هُنا في هذهِ الآيةِ هذهِ سَكينةٌ أُسريّةٌ تنعكسُ ابتداءً على الزَّوج، حينما تنعكسُ السَّكينةُ على الزَّوجِ ستنعكسُ على الأُسرةِ كُلِّها.
في سورةِ الأعراف، الآيةِ التاسعةِ والثمانين بعدَ المئةِ بعدَ البسملة: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** - وماذا بعد؟ - **لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا**﴾، هذهِ المعاني لا تتحقَّقُ على أرضِ الواقعِ ما لم تنشأ الأُسرةُ نشأةً صحيحةً، ولن تستطيعَ الأُسرةُ أن تنشأَ نشأةً صحيحةً من دُونِ مجتمعٍ يُوفِّرُ لها أسبابَ التنشئةِ الصَّحيحة، هذا الجندرُ يريدُ أن يُدمِّرَ كُلَّ هذا..
﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا** - وماذا بعد؟ بعدَ السَّكينةِ ما الَّذي يكون؟ تتفرَّعُ هذهِ العلائق: **وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾، وهذهِ أُمورٌ أسبابُها تكوينيَّةٌ، هذهِ سُنَّةٌ تكوينيَّةٌ ما هي بسُنَّةٍ اجتماعيّةٍ يصنعها المجتمع، لكنَّها لا تتحقَّقُ بالنَّحوِ الصحيحِ ما لم تكونُ السِّياقاتُ الأُسريَّةُ سَليمةً وصحيحةً، فحينئذٍ سيكونُ البناءُ بهذهِ الطريقة، وهذا البناءُ يتناقضُ بدرجةٍ كاملةٍ معَ البناءِ الجَندَري الَّذي يُبنَى على الحقوقِ والواجبات، هذهِ القاعدةُ يُعمَلُ بها بينَ الحُكّامِ والشعوب..
هذهِ عبارةُ السَّكينةِ وهذا التأليفُ في الحروفِ ما بينَ السينِ المهموسةِ وبينَ رنينِ النونِ في آخرِ الكَلمةِ هذهِ الكلمةُ لها إيقاعٌ مؤثِّرٌ على مسمعِ الإنسانِ وعلى أوتارهِ النَّفسيّة، ثُمَّ ماذا تقولُ الآية؟ - **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** - هذهِ آياتٌ تكوينيَّةٌ، حينما تأتي قوانينُ الجَندَرِ كي تُرتِّبَ لنا برنامجاً آخر إنَّها تُعاندُ سُنَنَ التَّكوين، هذهِ سُننُ التَّكوينِ اللَّطيفةُ الَّتي تجري علينا ونحنُ لا نشعرُ بجريانها..
وتستمرُّ الآيات: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**﴾، هذا الكلامُ يجري على الرِّجالِ والنِّساءِ على حدٍّ سواء، علاقةُ الرِّجالِ بخلقِ السَّماواتِ والأرضِ هي هي علاقةُ النِّساء، وَمَا سُخِّرَ لِلرِّجالِ مِنَ السَّماواتِ والأرضِ سُخِّرَ للنِّساءِ أيضاً، وما سُخِّرَ للنِّساءِ سُخِّرَ للرِّجال..
وهؤلاءِ العالمونَ يكونونَ تارةً من الرِّجالِ وأُخرى من النِّساءِ وثالثةً من الرِّجالِ والنِّساءِ معاً، وفي كُلِّ الأحوالِ المستوى واحدٌ..
وتستمرُّ الآياتُ بالحديثِ في هذا الاتجاهِ إلى الآيةِ الخامسةِ والعشرينَ بعدَ البسملةِ وحتَّى ما يأتي من الآياتِ بعدها..

في سورةِ الزمر؛

الآيةِ السادسةِ بعدَ البسملة: ﴿**خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ** - تُلاحظونَ أنَّ الآياتِ تُصرُّ على هذهِ الحقيقة؛ من نفسٍ واحدة، من طينةٍ واحدة، من مرتبةٍ واحدة - **ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** - من نَفسِ المرتبة - **وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ** - رِجالاً ونساء - **خَلْقاً من بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ**﴾، هل يختلفُ خَلْقُ الرَّجُلِ عَن خلقِ المرأةِ بحسبِ هذهِ الآيةِ وبحسبِ الواقع؟! الآيةُ تُشيرُ إلى نظامِ الزَّوجيّةِ في هذا العالم - **ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُو فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾، العلاقةُ متساويةٌ معَ ربِّنا معَ مالكنا، علاقةُ الرِّجالِ به وعلاقةُ النِّساءِ به، الآيةُ واضحةٌ جدّاً وصريحةٌ جدّاً من أنَّ مناشئَ الرِّجالِ والنِّساءِ واحدة، كيفَ تكونُ العلاقةُ معَ الربِّ واحدة إن لم تكُن المناشئُ واحدةً؟ فأينَ الفوارقُ القُرآنيّةُ بينَ الرِّجالِ والنِّساء، ومن هُنا حينما تنتفي الفوارقُ سينتفي التَّنقيصُ وينتفي التَّوهين، تلكُم الروايات تتحدَّثُ في حالةٍ استثنائيّة..

في سورة غافر؛

الآية الأربعين بعدَ البسملة: ﴿**مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا** - أكانَ رجُلاً أم كانَ امرأة، على حدٍّ سواء - **وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾، هذا القانونُ موجودٌ على طول الكتاب الكريم..

الآيةُ التاسعةُ والأربعون بعدَ البسملة من سورة الشورى: ﴿**لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ**﴾، الآيةُ واضحةٌ جدّاً، غايةُ الأمرِ أنَّ هذا يتصَوَّرُ ذكراً وهذا المخلوقُ يتصوَّرُ أنثى، المشيئةُ واحدة والخلقةُ واحدة والهِبةُ واحدة، ليسَ هُناكَ من نَقيصةٍ، ليسَ هُناكَ من توهين..

لقطةٌ مهمّةٌ جدّاً؛ سورةُ الزخرف.

الآيةُ السابعةُ بعدَ العاشرة بعدَ البسملة وما بعدها: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلاً**﴾، كانوا يعتقدونَ أنَّ الملائكة بناتُ اللّه وأنَّ الملائكة إناثٌ، الكلامُ هُنا بنحوٍ مباشرٍ عن الثَّقافة الأعرابيّة في جزيرة العرب، وهذا الأمر ليسَ خاصّاً بالعرب، لكنَّ الحديثَ بنحوٍ مباشرٍ عن عرب الجزيرة، فهذا الأمر موجودٌ في الأممِ والشعوبِ الأخرى أيضاً، لكنّنا نتحدَّثُ عن الآية الَّتي تُخاطبُ وتتحدَّثُ عن العرب.

- **ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾، الآيةُ تتحدَّثُ عن الموقف السَّيئ لهذا الرَّجُل الَّذي أُخْبِرَ بأنَّ زَوجتهُ قد أنجبت بِنتاً فهذا هو حالُهُ.

الآيةُ الَّتي تأتي بعدَ هذه الآيَة: ﴿**أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾، هذا هو منطقهم المنطقُ العربي ويمكنُ أن يكونَ منطقنا أيضاً إذا كانت هذه الظروفُ هي الظَروف الَّتي يعيشُ فيها النَّاس، لكنَّ القُرآنَ لا يأخذ القرار بهذه الصيغة، القُرآنُ يتحدَّثُ عن الواقع الموجود، "يُنَشَّأُ في الْحِلْيَة"؛ هذا التعبيرَ تعبيرٌ كنائي، يعني أنَّ المر أة تنشأ في ظُروف وضمنَ أعراف لا تجعلُها قادرةً حينما تكونُ ناضجةً جسدياً وعقلياً، من الجهة التكوينيَّة، لا تكونُ قادرةً على أن تُفصحَ عن رأيها، لا تكونُ قادرةً على أن تُدافعَ عن حقِّها، ولا تمتلكُ معلوماتٍ تستطيعُ من خلالِها أن تقولَ وأن تقولَ، هذه حالةٌ مردُّها إلى البيئة، مردَّها إلى المجتمع، مردُّها إلى التربية الأسريّة، مردُّها إلى الأعراف..

المسألةُ مسألةٌ تَنشئة، ولذا فإنَّ الآيةَ دَقيقةٌ جداً، قُرآنُنا دَقيقٌ جداً؛ ﴿**أَوَمَن يُنَشَّأُ**﴾، تَنشئة، القضيّةُ ليست تكوينيّةً، القضيّةُ ليست خَلْقيّةً، القضيّةُ ليسَ اللّهُ هو الَّذي أوجدَها، الإنسانُ أوجدها، الأعرافُ، المجتمعاتُ، المرادُ من الحليةِ الزينةُ، المرادُ من الحليةِ الشأنُ النِّسائيُّ الَّذي يرتبطُ ارتباطاً مباشراً بالأمورِ النِّسائيّة الخاصّة، فإذا ما نَشأت المرأةُ بَعيداً عن العلم، وبَعيداً عن الفكر وأُنْشئَت في جوٍّ استهلاكيٍّ نسائيٍّ محض ستكونُ تافهةً، حينما يكونُ الحالُ الأعمُّ الأغلبَ في المجتمع هكذا فإنَّ نساءَ ذلكَ المجتمع ستكونُ تافهةً، ويمرُّ جيلٌ وجيلٌ وجيلٌ فيصبحُ معروفاً من أنَّ المرأة تافهةٌ، وهذا هو الَّذي جرى، والحالُ هو هو مع الرِّجال، الرِّجالُ والنِّساء في أصل الخلْقة في منزلة واحدة، في أصل الفطرة في منزلة واحدة، في الإمكانات الإدراكيّة والعقليّة في منزلة واحدة، إذا كانَ هُناكَ من فوارق بيولوجيّة هذه الفوارقُ البيولوجيّة تكونُ محكومةً بقوّة العَقل والإدراك، وتأتي في سياقِ الوظيفة الحياتيّة لهذا الكائنِ أو لذاكَ الكائن.

فالآيةُ هُنا لا تتحدَّثُ عن حُكمٍ إلهيٍ ولا تتحدَّثُ عن فكرٍ قُرآنيٍ إنَّما القُرآنُ يعكسُ لنا الواقعَ الَّذي صنعهُ الإنسان، وهذا هو الحالُ في تلكم الروايات، إنَّهُ تقريرٌ للواقع الَّذي صنعهُ الإنسان وليسَ باليد من قُدرة على تغييره الآن..

لكنَّ القرآنَ مثلما مرّت الآياتُ لا يُريدُ للمرأةِ أن تكونَ هكذا، سأضربُ لكم مثالينِ من الكتاب الكريم:

في سورة النَّمل، قصَّة بلقيس ملكة سبأ، فبعدَ أن جاءَ الهُدهُدُ وأخبرَ سُليمانَ النَّبي بما أخبرَهُ عن سبأ، كَتَبَ كتاباً إلى ملكة سبأ وأمرَ الهُدهُدَ أن يأخُذ الكتابَ إليها: ﴿**اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا** - الآيةُ الثامنةُ والعشرون بعدَ البسملة من سورة النمل - **فَأَلْقِه إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ** - كيف تصرفت بلقيس؟ - **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ**﴾، بلقيسُ لا تعلَمُ من أنَّ الهُدهُدَ يتجسّسُ عليها، لكنَّها امرأةٌ حكيمةٌ، امرأةٌ منصفةٌ صادقةٌ مع نفسها وصادقةٌ مع قومها، مع أنَّها كانت كافرةً لم تكُن مؤمنةً، فإنَّ الآيةَ الرابعةَ والعشرين بعدَ البسملة من السورة نفسها تُخبرنا عن كُفرها: ﴿**وَجَدتُّهَا** - الهُدهُدُ يقولُ لسليمانَ النَّبي - **وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ من دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ** - هذا هو حالُها الدِّينيّ، ولكنَّها امرأةٌ ذكيّةٌ، امرأةٌ حكيمةٌ، فماذا قالت لهم؟ ﴿**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ** - إنَّها تتحدَّثُ مع مجلس الشورى، تتحدَّثُ مع المستشارين مع وزرائها، فقد ميزت هذا الكتاب مع أنَّها ما رأت الرَّسول، سقطَ الكتابُ إليها لأنَّ سُليمانَ أمرَ الهُدهُد..

- **إِنَّهُ من سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۞ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ** - قَرأت الكتابَ عَليهم - **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي** - مع أنَّها هي أكثرُ درايةً منهُم، لكنَّها حَكيمةٌ تطلبُ الحلَّ منهُم، في الآخر هم طلبوا الحلَّ منها وهي الَّتي شخَّصت لهُم الموقف لأنَّهُم يعرفونَ حكمتها ويعرفونَ درايتها - **مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ** - إنَّها تتحدَّثُ عن احترامها لهُم - **قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ** - الأمرُ إليك نحنُ نثقُ بقراراتك يا أيّتُها الملكة - **فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ** - حينئذ تحدَّثت الملكةُ الحَكيمةُ بلقيس - **قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۞ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ** ﴾، حكيمةٌ هذه الملكة، ها هي تُريدُ أن تتجسَّس على هذا الـملك الَّذي أرسلَ كتابهُ إليها، إلى آخرِ ما جاء في حكاية بلقيس والَّتي كُلُّها حكْمَةٌ وكُلُّها دراية، وكُلُّها ذكاء، وكُلُّها نُبوغٌ، هذه مرأةٌ كافرةٌ هكذا تحدَّثَ القُرآنُ عنها، لماذا؟ لأنَّها نشأت في بيئة ملكيّة وأبوها أعدَّها ملكةً لليمن، هذه هي الحكاية توفرت لها الظروف فصارت ملكةً حكيمةً..

في سورة التوبة؛

الآية الحادية والسبعين: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** - ماذا يفعلون؟ - **يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾، هذا شأنُ المؤمنين وشأنُ المؤمنات يأمرونَ بالمعروف وينهونَ عن المنكر، الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر يحتاجُ إلى علمٍ وإلَّا كيفَ يأمر وكيفَ ينهى وكيفَ تأمُر وكيفَ تنهى المرأة؟! ها هو القُرآنُ يُحدِّثُنا عن المؤمنين والمؤمنات على حدٍّ سواء..

الآيةُ الثانيةُ بعدَ البسملة من سورة الفتح الخطابُ لرَسُول اللّه صلَّى اللَّهُ عليه وآله: ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ من ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً** ﴾، بحسَبِ تَفسيرهم لقُرآنهم فإنَّ النَّبي صلَّى اللَّهُ عليه وآله قَالَ لعليٍ أمير المؤمنين: (يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ نَسَبَ ذُنُوبَ شِيعَتِكَ إِلَيَّ وَغَفَرَهَا)، كما يَقولُ النَّاس ألفُ عينٍ لأجلِ عَينٍ تُكرَم، المغفرةُ هُنا على حدٍّ سواء للرِّجال والنِّساء، فحينما تكونُ المغفرةُ على حدٍّ سواء للرِّجال والنِّساء هذا يعني أنَّهُ لا يُوجدُ فارقٌ بينَ الرِّجال والنِّساء في كُلِّ المراحل..

في الآية الخامسة والعشرين بعدَ البسملة من سورة الفتح: ﴿**هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا** - مَن هُم؟ قُريش - **وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً**﴾، هل هُناكَ من تفريقٍ بينَ الرجالِ والنِّساء هُنا؟! تُلاحظونَ أنَّ القُرآنَ تحدَّثَ عن هذا الموضوعِ في كُلِّ الظروف، في كُلِّ الحالات، في

حالات الحرب، في حالا ت السِّلم، في حالات الغِنى، في حالات الفَقْر، حتَّى في الحالات الاستثنائيّة حينما يتحدَّثُ القُرآنُ يُساوي بينَ الرِّجالِ والنِّساءِ في حديثِهِ وكلامِه..

في سورةِ الحُجُرات، الآيةِ العاشرةِ بعدَ البسملة: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾، هذه الآيةُ لا تتحدَّثُ عن الرِّجال، ولا تتحدَّثُ عن النِّساء، وإنَّما تتحدَّثُ عن أمرٍ مهمٍ وهو الإصلاح، والإصلاحُ ليس مُختصاً بالرجال، وليس مُختصاً بالنِّساء، هذهِ قاعدةٌ قُرآنيّةٌ، هذهِ الأُخُوَّةٌ مُنعقدةٌ بينَ الرِّجالِ أنفُسِهم، وبينَ النِّساءِ أنفُسِهِن، وبينَ الرِّجالِ والنِّساء، والأُخُوَّةُ هذه تُشيرُ إلى وحدةِ المنزلة..

الآيةُ الَّتي بعدها مُباشرةً: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ** - القومُ هُنا يُرادُ منهم الرِّجال - **وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ**﴾، إلى آخرِ ما جاءَ في الآية، هل هُناكَ من تفريقٍ في الآيةِ في هذا الحُكمِ فيما بينَ الرِّجالِ والنِّساء؟

والأمرُ هُو هو إذا أردنا أن نقرأ بقيةَ الآية: ﴿**وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ** - هذا أمرٌ مُتوجِّهٌ للرِّجالِ والنِّساءِ على حدٍّ سواء - **وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾، هذا الخطابُ كُلُّهُ للرِّجالِ والنِّساءِ على حدٍّ سواء..

في سورةِ النجم؛

الآيةُ التاسعةُ والثلاثون بعد البسملة وما بعدها من الآيات: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى** - هذا الإنسانُ هل هو الرَّجُل؟ الإنسانُ هذا قد يكونُ ذكراً وقد يكونُ أنثى - **وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى** - هذا هو الَّذي تحدَّثت عنهُ سورةُ الحُجرات من أنَّ أكرمَ الخَلْقِ وأقربَ الخَلقِ إلى اللهِ أتقاهُم - **ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى** ۞ **وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى** - على حدٍّ سواء للرِّجالِ والنِّساء - **وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى** - للرِّجالِ والنِّساء - **وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا** - للرِّجالِ والنِّساء - **وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى** ۞ **من نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى** - النُّطفةُ هي هي قد تكونُ ذكراً وقد تكونُ أنثى ولا يوجدُ فارقٌ هُناك - **وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى**﴾، النَّشأةُ الأخرى أيضاً هي هي تكونُ المنازلُ واحدة، لأنَّ النَّشأة الأخرى تترتَّبُ على النَّشأة الأولى..

في سورة الحديد؛

الآيةُ الثانيةُ بعدَ العاشرةِ بعدَ البسملة والَّتي بعدها: ﴿**يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾، هل هُناكَ من تفريقٍ بينَ الرِّجالِ والنِّساء؟ البشرى للمؤمنين وللمؤمنات، للذُّكُورِ وللإناث على حدٍّ سواء..

الآيةُ الَّتي بعدها: ﴿**يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ**﴾، على حدٍّ سواء الذُّكُور والإناث لا يُوجَدُ تفريقٌ، أكانوا على الإيمان أم كانوا على الكُفرِ والنِّفاق، وإنَّما التفريقُ في عاقبةِ الأمر؛ ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**﴾، ما يُنتجهُ الإنسانُ بِما هُو إنسان أكانَ ذكَراً أم كانَ أُنثى.

﴿**يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا** - للذُّكُورِ وللإناث على حدٍّ سواء - **نَقْتَبِسْ من نُّورِكُمْ** - انظُرُونا يا أيُّها الرِّجالُ ويا أيَّتُها النِّساء - **قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ من قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾، هذه الآياتُ آياتٌ عظيمةٌ جدّاً، لا أتحدَّثُ عن موضوعِ المساواةِ بينَ الذُّكُورِ والإناث، وإنَّما تتحدَّثُ عن القيامةِ وما يجري هُناك وما يجري هُناكَ، عاقبتُنا الحقيقيّةُ هُناك..

في سورةِ الجمعةِ، الآيةِ الثانيةِ بعدَ البسملة: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا من قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** - هل تستشعرونَ فارقاً في الآيةِ بينَ الرِّجالِ والنِّساء؟! والآيةُ الَّتي بعدها: **وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ** - للأجيالِ القادمةِ من الرِّجالِ والنِّساءِ على حدٍّ سواء - **وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾، هذا هو قُرآنُنا، وهذا هو مُحَمَّدُنا صلَّى اللَّهُ عليه وآله.

في سورةِ التحريم اللقطةُ واضحةٌ جدّاً، إنَّها الآيةُ العاشرةُ بعدَ البسملة: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا** - الَّذينَ كفروا من الرِّجالِ ومن النِّساءِ على حدٍّ سواء، ما هو مَثَلُهُم؟ - **امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**﴾، هذا المَثَلُ ضُرِبَ للَّذينَ كفروا من الرِّجالِ والنِّساء، لو لم يكُن هُناكَ من تساوٍ بينَ الرِّجالِ والنِّساءِ لَما ضَرَبَ اللَّهُ مَثلاً بالنِّساءِ للرِّجالِ والنِّساءِ معاً، لَضرَبَ اللَّهُ مثلاً بالنِّساءِ للنِّساءِ فقط، ولجاءنا برجُلٍ كي يكونَ مثلاً للرِّجال، هذا في أجواءِ الَّذينَ كفروا.

وفي السورةِ نفسِها فيما بقيَ من آياتها: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا** - للَّذينَ آمنوا من الرِّجالِ والنِّساء - **امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ** - إنَّها آسيةُ بنتُ مُزاحم - **إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي من فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** - لو لم يكُن الرِّجالُ والنِّساءُ بمنزلةٍ واحدةٍ لَما ضَرَبَ اللَّهُ مثلاً بامرأةٍ للرِّجالِ والنِّساءِ على حدٍّ سواء - **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**﴾، أيضاً ضربَ اللَّهُ بِها مَثَلاً للَّذينَ آمنوا، لا يُوجدُ رجُلٌ في البين ضُرِبَ مثلاً..

في سورةِ الزخرف، الآيةِ السابعةِ والخمسين بعدَ البسملة وما بعدها: ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ** ۞ **وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ** ۞ **إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ** - عيسى ابنُ مريم - **أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ** - هذه الحالةُ الوحيدةُ في الكتابِ الكريم أنَّ اللَّهَ جعلَ رَجُلاً مثلاً ولكن ليسَ لعامَّةِ المؤمنين من الرِّجالِ والنِّساء، لبني إسرائيلَ فقط..

في سورةِ القيامة؛

الآيةُ السادسةُ والثلاثون بعدَ البسملة وما بعدها: ﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى** - فطرةُ الإنسانِ لا تقولُ بهذا، لن يُترَكَ الإنسانُ سُدَى - **أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى** ۞ **ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى** ۞ **فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى**﴾، هذا هو أصلُنا وهذا هو فرعُنا، ويتساوى الرِّجالُ والنِّساءُ في الأصولِ وفي الفُروع..

في سورةِ اللَّيل؛

الآيةُ الثالثةُ بعدَ البسملة وتبدأ السورةُ هكذا: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى** ۞ **وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى** ۞ **وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى** - على حدٍّ سواء - **إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى**﴾، الاختلافُ والتشتُّت في السّعي؛ ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**﴾، تختلفُ المنازلُ والدرجاتُ بسببِ ما يُنتجهُ الرِّجال، بسببِ ما تُنتجهُ النِّساء، والقاعدةُ من أنَّ الأكرمَ هو الأتقى..

في سورةِ النَّاس إنَّها آخرُ سورةٍ في القرآن، النَّاسُ مَن هُم؟ الرِّجالُ والنِّساء على حدٍّ سواء: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** - إنَّهُ رَبُّ الرِّجالِ والنِّساءِ على حدٍّ سواء - **مَلِكِ النَّاسِ** ۞ **إِلَهِ النَّاسِ** ۞ **مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ** ۞ **الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ** ۞ **مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**﴾، ما قالَ القُرآنُ قُل أعوذُ بِرَبِّ الرِّجال، برَبِّ

النِّساء، بِرَبِّ الذُّكُورِ، بِرَبِّ الإناث، هُو رَبُّهُم جميعاً، لكنَّ القُرآنَ ختمَ آياته وختمَ سورَهُ بالحديثِ عن النَّاس وقد ركَّزهُ وكَرَرهُ، كلمةُ النَّاس تتردَّدُ في هذهِ السورةِ خمسَ مراتٍ، تأكيدٌ بعدَ تأكيد، فهذا هو قُرآنُنا من سورة الفاتحة إلَى سورة النَّاس يُخاطبُ الرِجالَ والنِّساءَ على حدٍّ سواء.

ما حدَّثتكُم عنهُ هو منطقُ الحقائق، رُبّما يقولُ قائلٌ من أنَّني أعاني الأمرّين من زوجتي، ورُبّمَا تقولُ قائلةٌ من أنَّني أعاني الأمرّين من زوجي، أنا لا أتحدَّثُ هُنا عن المشاكلِ الزوجيّة، لا أتحدَّثُ عن مشاكلِ البيوت، إنَّني أعرضُ الحقائق، هذا هو الَّذي قالهُ اللّه، وهذا هو الَّذي يبتني عليهِ دِينُ مُحمدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ صلواتُ اللَّه عَليهِم..

ما تتحدَّثُ الآياتُ عنه تتحدَّثُ عن حالةٍ مثاليّةٍ لا وجودَ لها على أرض الواقع، لكنَّنا في مقام التَّنظير، في مقام التأسيس، الواقعُ العمليَ في الحياة لهُ صورةٌ أخرى، والعيوبُ في الرِجال، والعيوبُ في النِّساء..

المشكلةُ ليست في القُرآنَ، المشكلةُ ليست في الدِّين، المشكلةُ ليست في مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، المشكلةُ ليست في اللّه، المشكلةُ فينا، هذه المشكلةُ في جانبها الدِّينيّ صنعتها المؤسَّسةُ الدِّينيّة، هذا الـمَذْهَبُ الطوسيّ القَذر أتحدَّثُ عن الواقعَ الشيعيّ، مَذْهَبُ مراجع النَّجف وكربلاء هو الَّذيَ فعلَ فينا ما فعل، والأمرُ هُو هُو عِندَ السُنَّةِ دينُ الصَّحابةِ هوَ الَّذي فَعلَ فِيهِم ما فَعل، وها هو الشَّيطانُ يُجَدِّدُ لنا ديناً جديداً ؛ "إنَّهُ دِينُ الجَندَر"، هنيئاً لنا بهذا الدِّين الجديد!!